Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومحددة، على غرار ما رأينا عند ابن وهب والقلقشندي وسواهما.

هذه الأنماط الثلاثة نعتناها بالتغير، لأن الأساليب كانت تتغير بتغير العصور والحقب. كما أن هيمنة بعضها أو تراجعه، أو فرضه وجوده بعد طول التهميش وليد التغيرات نفسها. كما أن اختلاف النظر إليها زمنيا، لا يختلف كثيرا عن النظر إلى أو ممارسة باقي الأنماط أساسية كانت أو عامة. ولعل قراءة تاريخية لهذه الأنماط الخاصة كفيل بجعلنا لانراها فقط «أدوات»، أو وسائل تعبيرية، ولكنها تمثيل وتمثل، وطريقة في رؤية الأشياء والتعامل معها، وهذا ما جعلنا نعتبرها أنماطا جديرة بالتسجيل والدراسة.

تتكامل، بهذه الصورة، الأنماط المختلفة وتتداخل وتأتي مجتمعة لتمثل لنا طرائق وأشكالا في إدراك العالم ورؤيته وتمثيله بالشكل الذي لا يعتمد المحاكاة كما سبقت الإشارة. وهي بذلك تتكامل مع الأجناس والأنواع وتتداخل. فهناك نقط عديدة للاشتراك والائتلاف والاختلاف والافتراق. هذه النقط حاولنا الوقوف عندها عموديا وأفقيا. وكان مسعانا يرمي إلى تحقيق نوع من الشمول والكلية في النظر إلى الكلام من كافة جوانبه، وتحديد مختلف ما يتألف ويتكون منه. وكنا في منطلقاتنا نرمي إلى نوع من التجريد المؤسس على تحققات وتجليات تحضر عمليا في أزمنة محددة أوفي صيرورات تعاقبية وتاريخية. وكل أملنا أن يكون هذا التصور دافعا إلى البحث والدرس، ويقدم إمكانيات لتغيير مجرى رؤيتنا وتعميقها ليتأتى لنا تحقيق ما نود على الوجه الأكمل في دراسات أوسع وأدق. فإن نجحنا في ذلك، فهذا مطمحنا، وإلا فحسبنا أننا حاولنا مركبا صعبا، نأمل أن تتاح لنا أو لغيرنا إمكانية السير فيه وتجاوزه.

إننا ببحثنا في الكلام من جهة أجناسه وأنواعه وأنماطه بالصورة المقدمة، نظل في مجال «المقولات» التي وسمناها في نطاق علاقتها بـ«المبادئ» بالتحولات، ويهمنا الآن الانطلاق نحو «التجليات» لأنها هي المحك الذي يكشف لنا عن كفاية ما قدمناه في إطار المقولات. والبحث في التجليات المختلفة والمتغيرة لا يمكن أن نضطلع به على الوجه الأكمل والأشمل. ولهذا السبب اخترنا جنسا واحدا مجالا للاختيار هو «الخبر» وداخل هذا الجنس حددنا نوعا محددا هو «السيرة الشعبية»، ونرى قبل الانتقال إلى هذا الاختيار الصعب أن نعرج على